المحاضرة الثالثة: مناهج البحث العلمي

يُعدّ منهج البحث العلمي الأداة الأساسية التي يعتمد عليها الباحث للوصول إلى نتائج دقيقة وموضوعية، إذ يُنظّم خطوات البحث ويوجهها بطريقة منهجية سليمة وتختلف مناهج البحث باختلاف طبيعة الموضوع وأهداف الدراسة، مما يجعل اختيار المنهج المناسب خطوة محورية في نجاح أي بحث علمي.

1. تعريف المنهج العلمي

يمكن تعريف المنهج العلمي بأنه: "الطريقة الموضوعية التي يسلكها الباحث في دراسته أو في تتبعه لظاهرة معينة، من أجل تحديد أبعاد بشكل شامل يجعل من السهل التعرف عليها وتمييزها، ويتيح معرفة أسبابها ومؤثراتها والأشكال التي تتخذها والعوامل التي أثرت فيها أو تأثرت بها، وقياس هذا الأثر أو التنبؤ به بشكل موضوعي دقيق يفسر العلاقات التي تربط عواملها الداخلية والخارجية، بهدف الوصول إلى نتائج عامة محددة يمكن تطبيقها أو تعميمها".

2. أهمية المنهج العلمي:

نظرا لأهمية المنهج العلمي يقول أحد الباحثين ":أنه إذا اضطر الباحث إلى أن يختزل جزء من تقريره المكتوب فلا يجب أن يكون المنهج هو ذلك الجزء الذي يختزله "بل يجب على الباحث أن يكتب منهج بحثه بحيث يحقق هدفين:

- أن يخبر الباحث القارئ بوضوح ما قام به من إجراءات لكي يجيب على الأسئلة التي أثارتها مشكلة البحث.
- أن يكتب هذا الجزء بالشكل الذي يمكن باحثا آخر بإعادة إجراءات البحث.

كما تبرز أهمية المنهج المستخدم أيضا في أنه يحدد الأدوات لجمع البيانات اللازمة لد راسة الظاهرة والتي تساعد في تحقيق الأهداف المرجوة.

3. خصائص منهج البحث العلمي:

- **خاصية الاستنباط والاستدلال:** أي استنباط النتائج من المقدمات، والفروع من المبادئ، والجزئيات من الكليات، وتستمد هذه الخاصية إلى النظر، والتأمل والتفكير والتحليل، والشرح النظريات والقواعد

العامة والعناوين المعروفة، ومن تم وصـــول إلى نتائجها، وتتعلق هذه الخاصـــية وبصـــورة أكبر بالعلوم الإنسانية والأدبية، والقانونية والسياسية والاجتماعية الاقتصادية.

- **خاصـية الاسـتقراء والتجريب:** تسـتند هذه الخاصـية إلى الملاحظة، والمشـاهدة، والتمعن، والتبحر في الظواهر، وجزئياتها، وفروعها وفرضـياتها وقوانينها العامة، وتتعلق هذه الخاصـية بجميع العلوم تقريبا وإذا كانت بصـورة أكبر بالعلوم الطبيعية، والتطبيقية كالطب والهندسـة وتتعلق هذه الخاصـية بصـورة أقل وضوحا بالعلوم الأدبية والإنسانية والاجتماعية والاقتصادية.
- **خاصـية جمع بين الاسـتقراء والاسـتنباط:** إن الجمع بينهما عندما يسـتخدم المنهج العلمي في دراسـة الظواهر يمكن للباحث أن يعد بحثا علميا استنباطيا مستقلا، أو أن يعد بحثا علميا استقرائيا مستقلا، فالتلاحم بين المنهجين لا انفكاك له خاصة أنه يتحقق بالنسبة للعلم الواحد.
- **خاصية الرقمية الحسابية:** أي استخدام لغة الأرقام، والحساب في تحليلات المنهج، وملاحظاتها للعلوم والظواهر الكونية، والتطبيقية، والاجتماعية، والاقتصادية، والقانونية.
- **خاصية الحيادية والتجرد:** أي من الأهواء والميول العاطفية والمؤثرات المزاجية والشخصية وغيرها من المؤثرات التي لا تدخل ضمن مكونات ووسائل المنهج العلمي: كالخبرات الشخصية، والعادات والتقاليد وغيرها.
- **خاصية التعميم والتطبيق:** أي تعميم وتطبيق النتائج والقوانين التي يصل إليها استخدام المنهج العلمي في ملاحظته لظاهرة ما على الظواهر الأخرى المشابهة.
- **خاصية التنبؤ والتخمين**
- **خاصـــية التنوع والتعدد:** أي تنوع وتعدد المناهج بتنوع العلوم والموضـــوعات والأبحاث العلمية وعلى الباحث أن يكون على علم بها حتى يسـتطيع إتباع المنهج القريب، أو المتعلق بعلمه أو موضـوعه أو مشكلة دراسته أو بحثه.

4. أنواع المناهج البحث العلمي

تتعدد مناهج البحث العلمي وتتحدد مفاهيمها بالوحدة والثبات والحتمية، بوحدة طبيعة الظاهرات وعدم تغير صفاتها الأساسية تغيرا ملموسا خلال فترة محدودة من الزمن، ووجود سبب أو أكثر لحدوث ظاهرة ما، ولقد تعددت تصنيفات مناهج البحث ونورد فيما يلي بعضها:

تصـــنيف هويتني Whitney: المنهج الوصـــفي – المنهج التاريخي – البحث الفلســـفي – البحث التنبوئي – البحث الاجتماعي – البحث الإبداعي.

تصـنيف ماركيزMarquis: المنهج الأنتربولوجي- المنهج الفلسـفي – منهج دراسـة الحالة – المنهج التاريخي – المسح الاجتماعي – المنهج التجريبي.

تصـنيف جودوسـكيتس Good and Scates: المنهج الوصـفي – المسـح الوصـفي - المنهج التجريبي - منهج دراسة الحالة – دراسات النمو والتطور والوراثة.

أما الباحثون العرب المحدثون فإن تصنيفاتهم للمناهج هي على النحو التالي:

محمد طلعت عيســى: منهج دراســة الحالة – المسـح الاجتماعي – المنهج الإحصــائي – المنهج التجريبي – المنهج التاريخي – المنهج المقارن.

عبد الرحمان بدوي: المنهج الاستدلالي – المنهج التجريبي – المنهج الاسترادادي (التاريخي).

محمود قاســم: منهج البحث في الرياضــيات – منهج البحث في العلوم الطبيعية – منهج البحث في علم الاجتماع – مناهج البحث في التاريخ.

أحمد بدر: منهج الوثائقي أو التاريخي – منهج البحث التجريبي – منهج المسـح – منهج دراســة الحالة – المنهج الإحصائي.

تشكل بعض المناهج قاسما مشتركا بين واضعي المناهج، وسوف نأتي على دراسة بعضها وهي الأكثر اتباعا:

1.4. المنهج التاريخي:

وهو المنهج الذي يهتم بدراســة الظواهر والوقائع في ســياقها التاريخي، من خلال دراســة نشــأة الظاهرة وتطورها والعوامل المساهمة في ذلك، وتحليل ماضي الظواهر من اجل تفسير الوضع القائم لها في الحاضر والتعرف على اتجاهاتها المستقبلية.

أ. خصائص المنهج التاريخي:

يتميز بمجموعة من الخصائص أبرزها:

- يتعلق تطبيق المنهج التاريخي بدراسة ظواهر ماضية غائبة عن الباحث، وبالتالي لا تخضع إلى أحكام الحس والتجربة.
- نظرا لاهتمام المنهج التاريخي بدراسة ظواهر ماضية فانه يعتمد على بيانات وحقائق تاريخية، يمكن الحصول عليها من خلال الوثائق والمستندات وآثار ومعالم وشهادات موثوق بها.
- يقوم المنهج التاريخي على فرضية وجود علاقات سببية بين الماضي والحاضر واتجاهات والأحداث والظواهر في المستقبل.
- يعتمد المنهج التاريخي على دراسة وتحليل الوثائق التاريخية ونقدها وتحديد ما يرتبط بها من حقائق وتفسيرها.

ب. خطوات تطبيق المنهج التاريخي:

- تحديد الظاهرة أو المشكلة التي سيتم دراستها.
- تحديد الفترة التاريخية التي سيتم تتبع الظاهرة خلالها.
- تحديد ودراسة الظروف والعوامل المحيطة والمميزة لبيئة الظاهرة خلال تلك الفترة التاريخية مجال الدراسة.
- جمع الحقائق والبيانات حول الفترة التاريخية والتحقق من مصداقيتها وموضوعيتها.
- دراسة الأحداث والوقائع وتحليل المواقف ذات العلاقة بالظاهرة، وتحديد العوامل ذات التأثير الواضح على الظاهرة.
- دراسة وتحليل العلاقات السببية بين ظهور وتطور الظاهرة، وما يرتبط بها من تأثيرات ونتائج، بما يساعد على تفسير الظاهرة تاريخيا وحاضرا وتحديد اتجاهاتها مستقبلا.

2.4. المنهج التجريبي:

يقوم المنهج التجريبي على اختبار العلاقات السببية بين المتغيرات بناء على إحداث تغييرات وتعديلات على الظروف والعوامل المتحكمة في تلك المتغيرات، بغرض تحديد وقياس وإحصاء بدقة الأثر بين المتغيرات المدروسة واستبعاد أثر العوامل أو المتغيرات الأخرى.

فالتجربة تتيح إعادة الحادثة بشكل متحكم فيه وموجه من طرف الباحث من حيث الزمان والمكان والطريقة وأسلوب الحدوث والظروف والعوامل المتحكمة في الظاهرة مما يسمح له بإجراء التغييرات والتعديلات في تلك الظروف بحسب ما تقتضيه طبيعة وهدف الدراسة.

أ. خصائص المنهج التجريبي:

أهم خصائص وأسس هذا المنهج على النحو الآتي:

- يعتبر المنهج التجريبي من أقوى المناهج في تطبيقه للأسلوب العلمي عند دراسة الظواهر والمشكلات، ولهذا فان نتائجه أكثر دقة وموضوعية.
- يمكن تطبيق المنهج التجريبي في البيئة الطبيعية للظاهرة مع إمكانية التحكم في العوامل المؤثرة وتعديل الظروف المحيطة، كما يمكن تطبيقه في المختبر ضمن ظروف اصطناعية تحاكي البيئة الطبيعية.
- يتيح المنهج التجريبي للباحث السيطرة التامة على ظروف ومتغيرات التجربة، من خلال ترتيبات وتدابير محكمة، الأمر الذي يمكنه من تحديد طبيعة العلاقات بين المتغيرات وقياسها بدقة.
- كما يقوم هذا المنهج على ملاحظة وقياس التغيرات والتطورات التي تحدث على الظاهرة، والناتجة عن تغيير وتعديل المتغيرات التجريبية.

ب. خطوات تطبيق المنهج التجريبي:

- تحديد إشكالية وهدف الدراسة.
- تحديد المتغيرات وتوضيح طبيعتها أي تحديد المتغيرات التابعة والمتغيرات المستقلة.
- التعريف الدقيق بمتغيرات الدراسة وتحديد معايير وطرق وأسس قياسها.
- تحديد واستقراء الظروف والعوامل المتحكمة والمؤثرة في متغيرات الدراسة وشروطها.
- تصميم التجربة وتحديد مكانها أن كانت تجرى في المناخ الطبيعي للظاهرة أو في المخبر.
- تحديد طرق وأساليب إجراء التجربة بحيث تسمح تلك الطرق بتحديد وقياس أثر المتغير المستقل على المتغير التجريبي واستبعاد أثر المتغيرات الأخرى على المتغير التابع.
- القيام بالتجربة من خلال إدخال المتغير التجريبي على المتغير التابع، وإعادة التجربة إن لزم الأمر عدة مرات.
- قياس التغيرات التي تحدث على المتغير التابع والناتجة عن إدخال المتغير المستقل.
- استنباط النتائج المحددة لطبيعة العلاقة واتجاهها وقوتها بين المتغيرات وظروف وشروط التأثير.

3.4. المنهج الوصفي:

وهو المنهج الذي يعمل على دراسة وتحليل الظاهرة وتحديد مكوناتها وخصائصها وظروف نشأتها، أي يصف الظاهرة من حيث كيفية وطريقة تكونها وبنائها وعملها، كما يعمل على وصف طبيعة العلاقات المكونة لها أو تلك التي تربطها بظواهر أخرى، حيث أنه يدرس الظاهرة وهي في حالة سكون دون تغير وتطور وتفسير الوضع القائم لها وتحليل أبعادها وعلاقاتها ومكوناتها.

أ. خصائص المنهج الوصفي

يمكن إبراز أهم خصائص في النقاط التالية:

- يهتم المنهج الوصفي بدراسة والتعرف على معالم وإبعاد الظاهرة المدروسة وتحديد أسباب تواجدها على صورتها القائمة وإعطاء تفسير منطقي ذلك.
- يعتمد المنهج الوصفي في دراسته على تحليل وتفسير الحقائق القائمة حول الظواهر وهذا لأنه يركز على دراسة الظاهرة في زمان ومكان محددين.
- يعتمد المنهج الوصفي على مجموعة من الأدوات والأساليب التي تمكنه من جمع البيانات والحقائق حول الظواهر المدروسة وتحليلها وتفسيرها، ومن بين تلك الأدوات نجد دراسة الحالات والدراسة الميدانية والملاحظات والتجربة.
- كما أن كل المناهج العلمية خلال مراحل تطبيقها تقوم بدراسة وصفية للظواهر، كمرحلة ضرورية من اجل التعريف بالظاهرة المدروسة وتوضيح جوهرها وأبعادها، ولهذا نجد أن معظم الدراسات تضطر إلى استخدام المنهج الوصفي كمرحلة من مراحل القيام بالدراسة.
- إن المنهج الوصفي لا يعني فقط وصف الظاهرة، بل يتعدى ذلك إلى إجراء تحليل عميق لمكوناتها وخصائصها وقياسها والتوصل إلى توصيف دقيق لها.

ب. خطوات تطبيق المنهج الوصفي:

- تحديد الظاهرة أو المشكلة المدروسة
- تحديد معالم الظاهرة والجوانب الغامضة فيها والتي تتطلب الدراسة والتحليل.
- التعرف على خصائص الظاهرة والتأكد من الوجود الحقيقي لها.
- تحديد متغيرات وأبعاد الظاهرة وطبيعة العلاقات بينها وطرق وأساليب قياسها، وطبيعة البيانات والمعلومات الضرورية لدراستها وطرق وأساليب جمعها.

- جمع الحقائق والبيانات الضرورية للدراسة وتنظيمها وتبويبها.
- تحليل وتفسير البيانات والحقائق المتحصل عليها.
- التوصل إلى نتائج تخص العوامل المؤثرة في الظاهرة وظروفها وأبعادها وخصائصها والتعرف على حقيقتها.
- تفسير الوضع القائم للظاهرة ومختلف العلاقات المكونة لها.
- تحديد أساليب التعامل مع الظاهرة والتأثير فيها، وتقديم كل ما يتعلق بها في صورة تناسب طبيعتها والمستفيدين من نتائج دراستها، وتوضيح مدى الحاجة لاستكمال دراسات مرتبطة بها.

ويمكن أن يأخذ المنهج الوصفي الأنماط التالية:

- **المنهج المسحي:** يعتمد على وصف خصائص المجتمع المدروس وصفا شاملا، وتستعمل الدراسات المسحية من قبل الجيولوجيين للتعرف على طبقات الأرض، ومن قبل الأطباء للتعرف على نوعية الأمراض الأكثر انتشارا، ومن قبل الشركات للتعرف على ذوق الجمهور ونوع المنتجات التي يرغب في اقتنائها.....، وذلك للاستفادة منها في المستقبل.

أشكال الدراسات المسحية

المسح الشامل (إحصاء عدد السكان)	المسح بالعينة (الرأي العام، السوق)	تحليل المحتوى (مقررات، برامج، قرارات)

- **منهج دراسة حالة:** هو ذلك المنهج الذي يتجه إلى جمع البيانات المتعلقة بوحدة معينة أو نموذج واحد سواء كانت فردا أو أسرة أو مؤسسة (أفراد، إنتاج، تسويق، مشتريات.....) أو دولة، ويقوم على أساس التعمق في دراسة تاريخ الوحدة (الحالة) أو دراسة جميع المراحل التي مرت بها بهدف الوصول إلى تعميمات علمية متعلقة بالحالة المدروسة والحالات المشابهة لها.

أشكال دراسات حالة

شخص	أسرة / مؤسسة	مدينة/ دولة

- **المنهج المقارن:** هو منهج يعتمد على المقارنة بين ظاهرتين أو مجتمعين أو حادثين، يقوم فيه الباحث بالموازنة بين المتغيرات في الموضوع محل الدراسة حتى يتمكن من تحديد أوجه التشابه والاختلاف للوصول إلى نتائج يمكن تعميمها.

أشكال الدراسات المقارنة

ظاهرة واحدة في مرحلتين	ظاهرتان متشابهتان في بلدين مختلفين